التّمثيل الذّهني للزّمن:
المقاربة المعرفية لالتباس الزّمن في اللّغات الطّبيعية

د. امحمد الملاخ، جامعة القاضي عياض، مراكش (المغرب).

ملخّـــص

نتناول في هذا المقال مسألة التمثيل المعرفي لأزمنة الأفعال، وذلك في إطار تداولي حيث نقصد بالتداولية النموذج التداولي المعرفي. يتم تفسير سيرورة تأويل الملفوظات في هذا النموذج بواسطة آليات ذهنية. وهكذا تنتج الأزمنة الفعلية آثارا معرفية حيث تقوم بتفعيل مجموعة من التمثيلات الذهنية المتباينة. بتطويرنا للمقاربة المعرفية للأزمنة سنحل عددا من المظاهر اللانسقية للصور الفعلية ذات ارتباط بسيرورة تذويت الزمن.

Résumé

Nous abordons dans cet article le problème lié à la représentation cognitive des temps verbaux, dans un cadre pragmatique ; ou par pragmatique nous désignons le model pragmatique cognitif.

Dans ce model le processus de l'interprétation des énonces est expliqué par des mécanismes mentaux, et les temps verbaux produisent des effets cognitifs en déclenchant différentes représentations mentales.

En développant une approche cognitive des temps ; nous pourrons résoudre les aspects non systématiques des formes verbales liés au processus de subjectivisation du temps .

تمهيد :

لقد انبرت المقاربات التداولية لمعالجة ظاهرة حشوية الأزمنة في اللغات الطبيعية، فالمعالجات التقليدية لا تقدم حلا كافيا لهذه الظاهرة، بل اكتفت بإسناد محتوى دلالي أساسي للأزمنة، معتبرة كل الاستعمالات "الشاذة" للزمن انحرافات عن "الدلالة الأصلية"، مكتفية بإحصائها وتحديد سياقات استعمالها. وغير خاف أن هذه الاستراتيجية المتبناة في التحليل تُخفي اطراد هذه الظاهرة وشيوعها في اللغات الطبيعية، فالأزمنة لا تمتلك محتوى دلاليا ثابتا غير قابل للتغيير في السياقات. واطراد هذه الظاهرة يستلزم صياغة تفاسير كافية. وتعتبر مدرسة جنيف التي تضم ثلة من الباحثين المشتغلين في مختبر "الإحالة الزمنية" التابع للجامعة نفسها، بينهم من يشتغل في مجال الحجاج في اللغة الطبيعية، وعلى رأسهم: جاك موشلير وستويل ولوي دوصوسير، رائدة في قيادة أبحاث أسفرت عن نظريات ونماذج تفسيرية أضحت واسعة الانتشار في أوساط الدارسين في مجال تداوليات الزمن، وتكمن أهمية هذه المدرسة في احتضانها لمقاربات معرفية cognitive، وأهمها نظرية الملاءمة لدى Sperber وWilson ومقاربات أخرى مثل النظرية الأمثلية optimality theory والنظرية المعرفية لفودور Fodor ، وقد نجحت مع انطلاق الأبحاث التي يقودها مختبر الإحالة الزمنية في ترويج مجموعة من الفرضيات، نسعى من خلال هذا البحث إلى فحصها وروزها في ضوء مجموعة من المعطيات التي يوفرها النسق الزمني للغة العربية ، وذلك في أفق تطوير وصياغة تحاليل وتطبيقات وأوصاف جديدة ومتجددة للعربية.

1. الأنموذج المعرفي : أوليات المقاربة التّداولية المعرفية للزّمن :

لقد سعى الإطار التداولي المعرفي la pragmatique cognitive، الذي تشتغل ضمنه مجموعة " مختبر الإحالة الزمنية "، بجامعة جونيف إلى بلورة نسق نظري ذي روافد معرفية متنوعة، قدمت في سياقه معالجات لقضايا تركيبية ومعجمية ودلالية من زاوية ومنظور تداولي، يبني معالجته للظواهر ضمن أفق ذهني ومعرفي .
فيما يلي سأقدم أهم التصورات المؤسسة لهذا الإطار:

أ – يعتبر موشلير أن الأنظمة اللغوية مؤسسة على عنصرين مركزيين [1] ، يساهمان بشكل فعال في تشكيل تمثلاتنا المعرفية للعالم: مقولات ذات محتوى تصوري،تجسدها المقولات المعجمية الجوهرية كالأسماء والأفعال والصفات. نستطيع بواسطة الأسماء بناء تمثلات ذهنية لموضوعات العالم الخارجي، و تجسد عنده السمات الدلالية أساس المعلومات التصورية التي ينفذ إليها الذهن، لصياغة معان لهذه الكيانات. أما الأفعال فتمثل المقولات التصورية للأحداث، ككيانات تملك بدورها نسقا من السمات الجهية) الإنجاز والنشاط والإتمام والحالة (، التي تساعد الذهن على تمثيل الأحداث ككيانات لها ورود في العالم الخارجي.

أما النوع الثاني من المقولات فذو محتوي إجرائي procedural، لا يحمل محتوى تصوريا محددا، وإنما يسهل السيرورات التمثيلية التي ينجزها الذهن، أثناء بناء تأويل للعبارات. ويمثل هذا النمط الإجرائي الروابط و الزمن والضمائر وبعض الظروف. فالروابط مثلا تسمح بقرن بنيتين محدِّدة حسب السياق نوع التأويل الدلالي الذي يمكن إسناده لكيانات تصورية، تبقى في غياب الرابط ملتبسة. تخلق الروابط نظاما من العلاقات) الاستنتاج، السببية، الوصل، الاستدراك، التعارض(يصعب بناؤها بواسطة المقولات التصورية، فالمحتوى التصوري لمتوالية من الأفعال في عبارة ما، لا يكشف عن نمط المسار الاتجاهي، ولا يمكن أن يكشف عن النظام الزمني الإحالي الممكن. و هذه المعلومات يبني بواسطتها الذهن التمثيلات المعرفية للجمل، وبشكل أخص ما يصطلح عليه موشلير بالصورة القضوية التامة للملفوظ. ولنأخذ كمثال جملة مجردة من الزمن،مثل "جري محمد ". فلكي يحول الذهن المحتوى التصوري للجملة، المتشكل من مقولة تصورية حدثية " جري"، ومقولة تصورية دالة على ذات " محمد "، إلى محتوى قضوي تام، ينبغي أن ينفذ إلى معلومات تخص زمن الحدث: هل له ورود في الحاضر؟ أم مسقط

في فاصل زمني ماضي؟ أم يدل على استمرار وعادة؟ أم يدل على حدث سيحصل في فاصل لاحق؟ وبالتالي يحاول موشلير أن يبني التمييز بين المقولات التصورية والإجرائية على أساس معرفي cognitif [2] . وما يميز هذين النمطين من المقولات، أن المقولات الإجرائية لا تملك محتوى دلاليا تابثا، فالخصائص الدلالية للزمن والروابط حساسة للسياق. وفي هذا الإطار يبين موشلير فشل النظريات الدلالية التي حاولت صياغة سمات دلالية مخصصة للزمن في اللغة الفرنسية، فالماضي المستمر Imparfait [3] لا يملك خصائص دلالية مشتركة بين جميع استعمالاته . ويتمثل الإشكال الذي يواجه المقاربات الدلالية في محاولة بناء مداخل معجمية دلالية للزمن، بشكل مماثل للمداخل التي تبنى للمقولات التصورية، غير آبهة للفرق بين نمطين من المقولات، لا ينتميان إلى صنف واحد ذي خصائص متجانسة . [4]

ب- يتبنى موشلير نظرية الملائمة pertinence لدى ويلسون ودان سبربر wilson and Dan sperber،المندرجة ضمن إطار نظري يعرف بالتداوليات المعرفية التي تنطلق من تصور فودور fodor حول آليات معالجة الذهن للمعلومات اللسانية [5] في قوالب معرفية منفصلة. فبالنسبة لسبربر تستقبل قوالب الإدراك الحسية) السمعية والبصرية (المثيرات اللغوية اللفظية فتحولها إلى معلومات قابلة للمعالجة من لدن النسق اللساني. وهذه الصورة يعالجها النسق اللغوي المتخصص، ليحولها إلى صورة منطقية أي صورة دلالية جزئية، كمتوالية مبنينة من المفاهيم. وبعد ذلك تنقل هذه الصورة الدلالية الجزئية إلى النسق المركزي في الذهن الذي يقوم باستنتاجات واستنباطات، مستعملا آليات معرفية متعددة مثل التعميم والمقارنة والاستنباط، وبالتالي ينفذ إلى قوالب لسانية متعددة، وإلى الذاكرة قريبة المدى وبعيدة المدى، والمعلومات السياقيــة، لبناء الصورة القضوية التامة للملفوظ، حيث يتم إسناد كل أشكال الإحالات، مثل الإحالات الزمنية أو الاستلزامات المنطقية أو السياقية وأشكال فك الالتباس. وتمثل الصورة القضوية التامة البنية الأكثر استجابة لمبدأ الورود، لأنها تتناسب مع مقصدية المتكلم.

الافتراض الذي ينطلق منه موشلير [6]بصدد المقولات الإجرائية، كمقولات محددة دلاليا داخل السياق، هو نفس التصور الذي يدعو إليه سبربر، عندما يتصور معجم اللغة كجهاز مكون من مقولات ذات دلالة محددة تحديدا أدنى underspecified، حيث تحدد داخل سياقات استعمالها. فمؤول الملفوظات مدعو للقيام باستنتاجات، مستعملا معلومات سياقية يستقيها من المحيط المعرفي environnement cognitif، لانتقاء المعلومات الأكثر ملائمة لتأويل الملفوظ. ما دام التواصل اللغوي قائما على بعدين مترابطين: البعد القصدي والبعد الإشاري ostensive- inferentielle. يدعو المتكلم المخاطب للتعرف على مقاصد مضمرة في كلامه، مستعملا كل المعلومات اللسانية والسياقية التي يوفرها لبناء استنتاجات ملائمة للتعرف على مقاصده. والاستنتاجات الملائمة عند سبربر تستجيب لمبدأ الأمثلية pertinence optimale، وذلك عندما تحقق شرطين أساسيين: الشرط الأول يسمى بالأثر السياقي effet contextuel، والشرط الثاني يصطلح عليه بكلفة المعالجة coût de traitement. فكلما أنتج الملفوظ أثرا سياقيا عاليا كان أكثر ملائمة، حيث يوفر للمؤول كل المعلومات التي يحتاجها لإسناد تأويل ملائم للعبارة متوافق مع مقاصد المتكلم. أما كلفة المعالجة، فتقترن بالمدى الزمني المطلوب لبناء تمثيل ذهني ملائم للملفوظ. وترتبط كلفة المعالجة أيضا، بطبيعة الموارد اللغوية والسياقية التي يوفرها المتكلم للمخاطب لبلوغ التأويل المقصود والملائم للعبارة [7] في مدى زمني قد يطول أو يقصر.

ج- يتأسس النسق الافتراضي لموشلير على مبدأ أساسي. مفاده أن التمثيلات الذهنية للمنحى الاتجاهي للأزمنة في الخطاب، قائمة على مبدأ الورود principe de pertinence.فالمسار التأويلي للزمن عبارة عن مسار استنتاجي ينفذ عبره المؤول إلى معلومات المحيط المعرفي التي يوفرها المحيط اللساني المباشر) الزمن الصرفي والروابط (، والمحيط السياقي، وهذه المعلومات خاضعة لسلمية تراتبية للسمات، تجعل التأويل موجها نحو القراءة الزمنية الأمثل والأكثر ورودا للزمن في الخطاب.

يمتلك نموذج موشلير كفاية وصفية وتفسيرية للخصائص الاتجاهية للأزمنة في الخطاب. كفاية مبنية على فرضيات ومبادئ الأنموذج المعرفي Le paradigme cognitif، الذي ما فتئ يشكل مركز جذب لمجموعة من المقاربات اللسانية المعاصرة، فالمعرفة التي ينتجها الباحث في مجال الزمن، لا يمكن أن تكون مفصولة عن الإواليات التمثيلية الذهنية، أي معرفة مسارات الإدراك و التمثيل المعرفيين التي يستعملها المؤول أثناء بناء تأويلات ملائمة للزمن في مختلف استعمالاته. ومعنى ذلك أن البحث اللساني لا ينبغي أن يظل مكتفيا بصياغة تعميمات ومبادئ وصفية أو تفسيرية دالة حول سلوك الزمن في الخطاب، وإنما يجب أن يربط التعميمات والأوصاف بمبادئ معرفية دالة.

سنقدم في المبحث الموالي مقاربة تداولية معرفية لإشكال حشوية الأزمنة والتباسها في اللغات الطبيعية. فالمقاربة النسقية للزمن تفترض أن كل زمن صرفي يتوافق مع دلالة زمنية محددة، وبالتالي تبرز الأزمنة تعارضات زمنية ناتجة عن التخصيص الدلالي المسند لكل زمن على حدة. ويصعب الاحتفاظ بهذا التصور التعارضي والنسقي للزمن، حينما نستقرئ سلوك الزمن في الخطاب. فالزمن يلتبس دلاليا في السياق، ولا يتوافق بالضرورة مع محتوى دلالي واحد، والأزمنة تترادف في محتواها الإحالي أو الدلالي. وان كان هذا الترادف ليس تاما بالنظر إلى لخصائص المنظورية الذاتية التي تتحكم في توجيه دلالة الزمن في السياق. كما يخضع الزمن لإغناءات سياقية enrichissements con-textuels، تجعل محتواه السياقي الجديد غير متوافق مع مدلوله الأصلي. وتقبل خاصية الالتباس و ما يتفرع عنها من خصائص، التعميم على الزمن في جميع اللغات الطبيعية، مما يستوجب توفير نموذج وصفي وتفسيري لرصد ظاهرة حشوية والتباس الأزمنة في اللغات الطبيعية. وسأقدم في المبحث الموالي نموذج التمثيلات الذهنية المتعددة لصرفيات الزمن الذي يشكل قالبا فرعيا بين قوالب نظرية التداوليات المعرفية. وسأبرهن على كفاية هذا النموذج في تفسير ظاهرة التباس الزمن وحشويته في اللغات الطبيعية.

2: فرضية التمثيلات الذهنية المتعددة لصرفيات الزمن: نحو مقاربة معرفية لإشكال التباس الزمن :

من بين الإشكالات الكبرى التي تعترض نظريات الزمن، و التي تستوجب صياغة تفسير إشكال استعمال الزمن الصرفي الواحد في سياقات متعددة، وإشكال استعمال زمن مختلف عن الزمن الذي يقتضيه عادة سياق محدد. فالزمن الحاضر، كمثال لا يستعمل للدلالة على أحداث تجري في زمن التلفظ،وإنما يوظف في سياقات دالة على أحداث جرت في زمن سابق. مثلما هو الشأن بالنسبة للحاضر التاريخي present historique، أو أحداث ستقع في المستقبل القريب أو البعيد. ويمكن تعميم هذا التخصيص على أزمنة أخرى مثل الماضي المستمر imparfait في الفرنسية الذي يرتبط استعماله بسياقات مختلفة لا تدل بالضرورة على الماضي، حيث يستعمل في سياقات افتراضية أو مع الوجوه المضادة للواقع conter- factuel.

لماذا يضطر المتكلم إلى استعمال الصور الزمنية) أ(في الجمل الموالية بدل الصور الزمنية) ب(التي تتوافق مع الاستعمال العادي للزمن الموافق لإحالته الزمنية؟

1. (أ) dans le mois prochain j'ai fini ma thèse
1. (ب) dans le mois prochain j'aurai fini ma thèse
2. (أ) dans un instant le train partait
2. (ب) dans un instant le train partira

لماذا يؤول المخاطب الجملة 3 (أ) على أساس أن الماضي متصل بالحاضر وله ورود في زمن التلفظ؟ بينما يؤول الماضي في الجملة) ب(، على أساس أنه منقطع ومحيل على فاصل زمني سابق على زمن التلفظ؟

3. (أ) j'ai faim , on peut sortir maintenant au restaurant
3. (ب) le mois dernier , j'ai rencontré marie

هل يتقاسم الزمن في (أ) و (ب) نفس الأثر المعرفي effet cognitif؟ أم ثمة قصدية دلالية يسعى المتكلم إلى تحقيقها باستعماله للجملة (أ) بدل الجملة (ب)؟ يدرك المتكلم عدم حصول الأحداث في الجمل (1 و 2). فالمحتوى الإحالي الأصلي للأزمنة لا يؤثر في الدلالة الإحالية للزمن. فسواء استعملنا الماضي في 1 (أ) أو المستقبل المكتمل في 1 (ب)، فالحدث يسقط في فاصل زمني دال على المستقبل.

ويمكن التمثيل لهذه الخصائص في أزمنة اللغة العربية. لنلاحظ الأمثلة الموالية:

4. في سنة2080، كان النيزك القادم من الفضاء قد دمر كل معالم الحياة على الأرض.
5. خرجت أمس، شاهدت أمورا شتى: الأطفال يمرحـــــون ويرقصون على أنغام الموسيقى في الحديقة، وفي وسط الحديقة يزجر الحارس المرأة التي قطعت وردة لتهديها إلى صديقها.
6. " فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الأرض غير الأرض والسمـاوات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد " سورة إبراهيم آية -47 49.
7. " والله الذي أرسل الريح فتثير سحابا فسقنـــاه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور " سورة فاطر،آية 9.
8. " فانتقلت إلى القاهرة فرأيت حضـــــرة الدنيا وبستان العالم...وإيـــــوان الإسلام، وكرسي الملك تلوح القصور والأواوين في جوه، وتزهر الخوانك و المدارس بآفاقه وتضيئ البدور والكواكب من علمائه... ومررت في سكك المدينة تغص بزحام المارة وأسواقها تزخر بالنعم " ابن خلدون، كتاب التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص 246.

لقد حاولت مجموعة من المقاربات التركيبية أو الدلالية التعامل مع الأزمنة في مثل السياقات المذكورة أعلاه، من منطلق عدها أزمنة موسومة marked tense، لا تمثل الاستعمالات المعيارية للزمن التي تتوافق فيها الصور الزمنية مع إحالات زمنية نسقية، تحدد الدلالة المعيارية لكل مدخل زمني صرفي في النظام الزمني العام للغة الموصوفة. فالدلالة الزمنية مشروطة باستعمالات بلاغية، مقترنة بخطابات توظف اللغة لأغراض جمالية أو تخييلية. غير أن هذه الحجة لا تستقيم لاعتبارين، الأول نظري والثاني تجريبي. لو سايرنا هذا الطرح سنضطر إلى صياغة أنحاء زمنية بعدد أشكال الخطابات، فنفرز حينئذ نظرية زمنية للتواصل اللغوي العادي، ونظرية زمنية للخطابات الأخرى ذات المنحى التخييلي أو البلاغي. ثم إن الأخذ بهذا التصور يستلزم أن نفترض أن الذهن يستعمل آليات تمثيلية متباينة. ومن جهة ثانية، تبين المعطيات التجريبية بطلان هذا الطرح، لأننا نلجأ في التواصل اللغوي العادي إلى استعمال الزمن بطريقة مشابهة للاستعمالات التي وصفت بالموسومية في السياقات الجمالية والتخييلية. علاوة على ذلك فإن عددا من الخطابات التي يتعذر تصنيفها في دائرة النصوص الجمالية مثل الخطابات الحجاجية والعلمية، قد نلجأ فيها إلى توظيف الزمن بطرق تبتعد عن الاستعمال المعياري. وينسجم تصورنا مع ما أشارت إليه سميث Smith من كون ما يمكن استخلاصه من خصائص الأزمنة في الخطاب السردي أو غيره من الخطابات ذات الخصوصية الأسلوبية لا يشكل طبقة طبيعية تفرز خصائص زمنية منفصلة عما تفرزه الخطابات الأخرى، فنظام الإحالة الزمنية الذي يمكن أن نجده في هذه الخطابات قد نعثر على نظيره في الحوارات العادية وفي النقاشات حول المستقبل أو في التحاليل الافتراضية.

ما هي القضايا التي يطرحها استعمال الزمن في الأمثلة (3 إلى 7)؟ كيف يمكن لنظرية التمثيلات الذهنية المتعددة للصور الزمنية، أن تحل مجموعة من مشاكل الدلالة الزمنية؟

في المثال (3) يقدم الحدث على أساس أنه وقع في زمن مستقبل افتراضي. وبدل أن يستعمل المتكلم " سيكون قد دمر " استعمل الماضي المكتمل.

أما الأفعال الواردة في صورة الحاضر في المثال (5)، فقد وردت في سياق الماضي.و تقدم الأحداث كما لو أنها تجري في زمن الخطاب. ويمنع الظرف" أمس " الذي صدر به المقطع السردي الحصول على هذه القراءة الزمنية. وتنسحب هذه الملاحظة على نص ابن خلدون، فجل الأحداث الواردة في صورة الحاضر كان بالإمكان التعبير عنها بصورة زمنية متطابقة مع سمات الزمن السياقي الدال على وصف أحداث ماضية، لتأتي حينئذ في صورة " كان يفعل " (كانت القصور تلوح..كانت المدينة تغص بزحام المارة) .

وتطرح أزمنة المثال (6) إشكالا أكثر تعقيدا، لأن سياق الوعد استوجب توظيف صور صرفية زمنية دالة على المستقبل، وقد أتت بعض الأفعال موافقة في صورتها اللفظية لما يوجبه زمن سياق يوم القيامة، مثل " تبدل " و "ترى "، إلا أن الفعل " برزوا " بصورته اللفظية الدالة على الماضي كسر المطابقة الزمنية اللفظية بين سلسلة الأفعال في الآية، فالبروز لم يحصل بعد. لماذا إذن تم اختيار هذه الصورة الزمنية بدل صورة " يبرزون"؟ هل تترادف هذه الصورة زمنيا مع الصورة المقابلة؟. أم ثمة أثر دلالي سياقي ينوي المتكلم إحداثه في المخاطب؟
نفس الملاحظة التي أبديناها بشأن المثال (5)، يمكن إبداؤها بشأن المثال (7).فالفعل المضارع " تشير " ورد وسط متتالية من الأحداث المترابطة في سلسلة اتجاهية تقدمية وردت جميعها في صورة الماضي، و يستلزم التوافق الزمني المعياري بين سلسلة الأحداث استعمال الفعل " أثارت ".

لحل هذه الإشكالات سنقدم نظرية التمثيلات الذهنية المتعددة للزمن. وهي عبارة عن نظرية فرعية داخل التداوليات المعرفية، عمل فرديريك إراكي كانجيت على إغنائها بمجموعة من الفرضيات لوصف التباس الزمن في اللغة السواحلية، ثم اقترح تعميمها على لغات رومانية أخرى . [8] تتأسس هذه النظرية على مجموعة من الافتراضات، وفيما يلي ملخص لأهمها:

1. يفترض كانجيت أن سمات الزمن في اللغات الطبيعية ينبغي أن تكون مخصصة تخصيصا أدنى sous déter-minée، فالزمن لا يمتلك خصائص دلالية تابثة تتكرر في جميع استعمالاته. يتوافق التخصيص الأدنى مع طبيعة الصرفيات الزمنية، باعتبارها مقولات إجرائية مشروطة دلالتها بالإغناء السياقي . [9]

2. تنتج عن الافتراض السابق، خاصية أساسية مرتبطة بتمثيل الأزمنة في اللغات الطبيعية، فالزمن الواحد قد ينتج تمثيلات ذهنية متعددة في اللغة الواحدة، ينتقي من بينها المتكلم أثناء سيرورة التلفظ، تمثيلا يتناسب مع السياق اللساني الذي يتكون من روابط أو مكونات لغوية قد تشرط إدراج زمن محدد، وقد لا تشرطه تبعا لسلمية السمات الاتجاهية التي توجه استعمال الأزمنة وتأويلاتها في الآن نفسه، كما يتناسب مع مقاصد المتكلم، والأثر السياقي الذي يروم تحقيقه من خلال ذلك الاستعمال.

تستند نظرية التمثيلات الذهنية إلى فرضية معرفية، مفادها أن التمثيل الذهني المعرفي سيرورة مركبة تعتمد خلق وتعديل ودمج وتجميع تمثيلات ذهنية لتأويل الملفوظات. ويفترض أن هذه التمثيلات ذات طبيعة تصورية وليست لسانية محضة. وتنقسم حسب ريبول [10] إلى نوعين: تمثيلات ذهنية عامة، وتمثيلات ذهنية خاصة. يمثل الذهن بواسطة النمط الأول للمقولات العامة التي يستعملها للتمييز بين الألوان والأحجام أو الكميات، وغير ذلك، أو للتمييز بين الكيانات المجردة أو الملموسة.أما النمط الثاني من التمثيلات فينقسم بدوره إلى نوعين: تمثيلات ذهنية مخصصة للموضوعات les objets ، وتمثيلات ذهنية خاصة بالأحداث، تميز الحالات عن السيرورات أوالإنجازات. ويشمل كل تمثيل ذهني لائحة من المعلومات [11] .وهي كالتالي:

أ- مدخل منطقي يشير إلى الروابط المنطقية بين التمثيل الذهني للحدث أو الموضوع، وبقية التمثيلات الذهنية المتعالقة معه منطقيا.
ب- مدخل موسوعي يمثل لكل المعلومات المخزنة في الذاكرة حول الحدث أو الموضوع. مثلا كل ما نعرفه حول حدث

الجري أو حالة المرض.

ج- مدخل خاص بكيفية النفاذ إلى التصور.
د- مدخل خاص بالمشاركين في الحدث الممثل له ذهنيا، مثل: " جرى زيد "،زيد منفذ للحدث.
هـ - مدخل متعلق بالظروف الزمانية والمكانية المحددة لزمان ومكان وقوع الحدث.
و- مدخل خاص بترتيب الحدث والعلاقة الاتجاهية و الزمنية، التي ينسجها مع بقية الأحداث في الملفوظ.
ز- مدخل معجمي يخصص مقابلات الحدث موضوع التمثيل في مختلف اللغات الطبيعية وتخصيصاته الدلالية.

يلعب الزمن دورا مركزيا في صياغة التمثيلات الذهنية للأحداث. فاقتران الحدث الواحد بصرفيات زمنية متعددة يسمح بتوليد تمثيلات ذهنية متعددة للحدث. كما أن الصرفيات الزمنية يمكن أن تدخل مسار التمثيل الذهني، حيث يمكن إسناد تمثيلات ذهنية متعددة للزمن الواحد، مما يجعل الزمن كمقولة إجرائية مختلفا عن المقولات التصورية التي قد تحضى بتمثيل ذهني واحد. كما أن المدخل المتعلق بالظروف الزمنية والمكانية المحددة لزمن وقوع الحدث، قد تتنافس عليه عدة صرفيات زمنية، وبآثار دلالية وسياقية مختلفة، كما بينا بالنسبة لتقابل الأمثلة في (1) و (2) .

بما أن السيرورة التواصلية عملية متكونة من فعل إنتاج وفعل تأويل، يفترض كانجيت أن نظرية التمثيل الذهني لا تجسد إلا المسار التأويلي، وبالتالي يلزم إدراج مبادئ وفرضيات مرتبطة بفعل الإنتاج، بما أن مسار التأويل الزمني يقتضي تحديد القراءة الزمنية المناسبة la plus pertinente و الأمثل optimale لمقاصد المتكلم [12] . وفيما يلي عرض لأهم هذه المبادئ والفرضيات:

أ- يقترن الشق الأول من المبادئ بالنظرية الأمثلية لبرينس و سمولينسكي التي طبقت على الظواهر الصواتية في اللغات الطبيعية. ثم عممت على ظواهر تركيبية ودلالية. تقوم هذه النظرية على مبدأين متناقضين يقبلان الخرق. وهما: مبدأ الوسم، الذي يستلزم تجنب الأشكال الموسومة، ومبدأ الوفاء الذي يقتضي الحفاظ على التقابلات.

حينما نطبق النظرية الأمثلية في مجال الأزمنة، نجد أن اللغات الطبيعية تخلق أزمنة نحوية متعددة، تقوم على التقابل بين أزمنة غير موسومة وأخرى موسومة. هذا التقابل ينسجم مع مبدأ الوفاء. فكل صرفية زمنية تخلق مبدئيا تمثيلا ذهنيا متميزا عن صرفيات زمنية أخرى تتقابل معها في النسق الزمني العام. يختار المتكلم التمثيل الذهني الأمثل للزمن انسجاما مع مبدأ الوفاء. لكن يمكن للمتكلم خرق هذا المبدأ. ولنأخذ كنموذج الزمن الحاضر في اللغة العربية، الذي يفرز على الأقل ثلاثة تمثيلات ذهنية: الحاضر الإشاري والمستقبل والحاضر التاريخي pres-ent historique. يقتضي احترام مبدأ الوفاء استعمال ثلاث صور زمنية مختلفة بدل صورة زمنية واحدة. ولإنقاذ هذا المبدأ ينبغي استحضار سلمية السمات التي يقترحها موشلير، فالسمات السياقية تعوض التباس الزمن في هذه السياقات، وتمكن من إسناد التأويل المناسب.

ب- يرتبط الشق الثاني بنموذج التنافس الذي يقترحه كانجيت، لتفسير اختيار المتكلم لصرفية زمنية محددة بدل صرفيات زمنية تنافسها في الدلالة الزمنية. مثل اختيار الحاضر التاريخي في سياق السرد بدل الماضي البسيط أو الماضي المركب. يقترن هذا الاختيار عنده بمقصديات المتكلم أو الكاتب. فالمتكلم يختار الزمن الأكثر ملائمة، انسجاما مع نظرية سبيربر و ويلسن لتبليغ مقاصده، و لخلق الأثر المعرفي المنشود . [13]

يعتبر كانجيت أن الأزمنة تؤثر بشكل فعال في التمثيل الذهني للأحداث. لنأخذ كنموذج المثال (4) أعلاه. فالأحداث التي تقع في الحديقة يستعمل المتكلم الزمن الحاضر لوصفها لإضفاء طابع المشهدية على الأحداث المعروضة l'effet cinématographique. كما أن مسار التمثيل الذهني للأحداث يستدعي معطيات مرتبطة بقوالب التمثيل الإدراكي les modules perceptives، باعتبار أن هذه القوالب تستقبل في البداية الأحداث ثم تحولها إلى

قوالب تمثيلية أخرى، وبالنسبة إليه يعتبر أن هذا التمثيل الزمني يجسد التمثيل البدئي la représentation primitive للحدث، في حين أن استعمال الماضي كبديل يقتضي تحويل صورة ذهنية بدئية مخزنة في الذاكرة، إلى صورة أكثر تجريدا، تقتضي إعادة تنظيم زمن الحدث بالنظر لزمن التلفظ (الآن) [14] . ويتمكن المخاطب من تأويل سلسلة الأزمنة في المثال (4)على أساس أنها دالة على أحداث ماضية، استنادا إلى معلومات سياقية.

3. يستلزم الأخذ بمبدأ الملائمة انسجاما مع مقاصد المتكلم، افتراض المنظور الذاتي للزمن. لقد أقصت المقاربات النسقية للزمن فكرة تحكم المنظور الذاتي للمتكلم في إحالة الأزمنة. فالأزمنة في هذا التصور تحيل بشكل موضوعي، بغض النظر عن منظور المتكلم [15] الذي قد يتحكم في إحالة الأزمنة داخل الجملة. ويشكل إقصاء فكرة المنظور الذاتي la subjectivisation du temps نقطة ضعف في المقاربات الإحالية للزمن. فهذا النمط من المقاربات لا يمتلك كفاية تجريبية، طالما أنه لا يقوى على رصد التقابل بين الجملتين -2 (أ) و 2 - (ب). بالإضافة إلى الأمثلة من (4) إلى (8)أعلاه. كما لا يستطيع تفسير اختيار المتكلم في الجملة (9) للماضي البسيط بدل الماضي المستمر.

9. Paul sortit dehors , il fit bigrement froid

بما أن الماضي البسيط يدل على علاقة اتجاهية تقدمية، فسمة الزمن الاتجاهية تقتضي أن تكون حالة الجو الباردة قد حصلت مباشرة بعد خروج (Paul)، وهذا التأويل لا يمكن قبوله، فالجملة (10) أكثر ملائمة لهذا المعنى:

10. Paul sortit dehors , il faisait froid

معنى ذلك أن صرفية الماضي المستمر تنتج تمثيلا زمنيا ذهنيا، مخالفا لدلالة (9). فاختيار المتكلم للجملة (9) ينسجم مع التمثيل الزمني الذهني الأمثل والأكثر ملائمة لمقصديته. نفترض تبعا لتاهارا [16]، أن الجملة (9) تمثل للزمن من منظور الفاعل [17] (paul) حيث تصور إحساسا مفاجئا ولحظيا ببرودة الجو من لدن (Paul) مباشرة بعد خروجه، وليس قبل ذلك. وهذا الأثر الدلالي لا يمكن الحصول عليه باستعمال الجملة (10)، مما يعني أن التمثيل الذهني للزمن في (9) ليس مماثلا للتمثيل الذهني للجملة (10) .

يكن التمييز إذن بين استعمالين للزمن في اللغات الطبيعية [18] . استعمال وصفي usage descriptif، واستعمال تأويلي ذاتي usage interprétatif, subjectif. يقتضي الاستعمال الوصفي التوظيف المحايد للزمن، حيث تموضع الأحداث في خط زمني مركزه زمن التلفظ،بشكل موضوعي. أما الاستعمال التأويلي فيستلزم إدراج وجهة نظر ذاتية تتحكم في توجيه الدلالة الزمنية، خالقة أثرا دلاليا و سياقيا محددا. وتشكل الجملتان (11) و (12) أمثلة إضافية [19] لمزيد من التوضيح:

11. paul regarda par la fenêtre. il neigeait

12. marie entra dans le bureau du président.une copie du budget était sur la table

ورد الفعل "neigeait " في المثال (11) في الماضي المستمر، وهذه الدلالة الزمنية تتعارض مع الماضي البسيط، لأن (Paul) لم يكتشف سقوط الثلج إلا حين مشاهدته عبر النافذة، وكذلك لم تلاحظ (marie) نسخة الميزانية فوق الطاولة إلا لحظة دخولها، إن الزمن هنا لا ينقل وجهة نظر الفاعل في الجملة، وإنما ينقل وجهة نظر السارد الذي يمتلك معرفة قبلية بالأحداث. إن الاستعمال التأويلي المحكوم بوجهة النظر الذاتية، هو الذي يجعل استعمال الأمثلة الموالية التي نعيد سوقها للتذكير في اللغة العربية وما يقابلها في لغات أخرى ممكنا:

13. في سنة 2080 كان النيزك القادم من الفضاء قد دمر كل معالم الحياة على الأرض

14. « فلا تحسبن الله مخلف وعد رسله إن الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد»سورة إبراهيم، آية: -47 49.

-15 «والله الذي أرسل الريح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور» سورة فاطر، آية : 09.

يتموضع المتكلم في المثال (13) في عالم افتراضي، فزمن التلفظ لا يحدد الإحالة الزمنية، وإنما يحددها الظرف الزمني الذي صدرت به الجملة. ويتبين من خلال هذا المثال أن العالم الراهنworld curentالذي تقوَّم بموجبه الإحالة الزمنية، ليس العالم الإشاري المقترن بالآن، لأن المتكلم يخلق مركزا إحاليا زمنيا مغايرا لزمن التلفظ، يحدده الظرف الزمني (سنة 2080)، ليصير زمن الحدث مموضعا في فاصل زمني متصل بالظرف أو سابق عليه. يمكن للجملة (13) أن ترد في سياقين مختلفين:في سياق نصوص الخيال العلمي، وفي سياق تلفظي ينجز فيه الجملة عالم فيزيائي، ولا يمكن أن نتحدث عن الأثر الدلالي/ المعرفي إلا في السياق الثاني، لأن السياق الأول تحكمه مواضعات الكتابة في أدب الخيال العلمي التي تصور أحداثا تقع في مستقبل افتراضي.

يمكننا نموذج كانجيت من تقديم تفسير لاختيار الزمن الماضي في الجملة (13) بدل المستقبل المكتمل. يفترض كانجيت أن المتكلم يقوم عند إنجاز التمثيل الذهني للأحداث باختيار الخطاطة الزمنية الأمثل والأنسب لمقاصده، وبما أن الأزمنة يمكن أن تتنافس فيما بينها لتمثيل حدث في سياق تواصلي محدد، فينبغي اختيار الزمن الذي ينتج تمثيلا ذهنيا متوافقا مع الأثر الدلالي الذي يتوخاه المتكلم. إن اختيار المستقبل المكتمل يعد الاختيار الأكثر حيادا من لدن المتكلم، لأنه لا يستوجب منه التزاما بيقين الحدث. أما اختيار الماضي فينتج أثرا ذاتيا دالا على درجة عالية من اليقين، ونلاحظ هذا الفرق في المثالين المواليين:

16. dans un mois j'aurai fini ma thèse
17. dans un mois j'ai fini ma thèse

إن التوظيف الإشاري للزمن لا يشكل إلا جزءا من نسق استعمالي أوسع، ولا يمكن صياغة أوصاف كافية للزمن في الخطاب إلا باستقصاء الاستعمالات الوصفية والتأويلية للإحالة الزمنية. ونعتقد أن الوصف الشامل لاستعمال الزمن إذا ما أدمج في نظرية معرفية فسيمكننا حتما من فهم الميكانزمات الذهنية المتحكمة في تمثيل الزمن، مادام مسار حساب الدلالة الزمنية يقتضي إجراء آليات تمثيلية معقدة. ولشرح مسار التمثل الذهني في بناء هذه الإجراءات نقترح ما يلي :

يقوم مؤول الزمن في الخطاب بعمليات استنتاجية تمر عبر مراحل نلخصها فيما يلي:
أ. يتم في المرحلة الأولى تحديد نوع استعمال الزمن من لدن المتكلم، من خلال التمييز بين التوظيف الوصفي أو التأويلي/ الذاتي.

ب. نفترض أن الأزمنة غير مخصصة تخصيصا كليا، فالمحتوى الإحالي للزمن مخصص تخصيصا أدنى... وبالتالي لا تحمل الأزمنة الصرفية سوى خطاطة زمنية عامة ينبغي تخصيصها في السياق اللغوي أو المقامي [20] ، من خلال حساب استنتاجي تراعى فيه سمات الروابط والظروف وعلاقة الزمن بأزمنة أخرى، وتتدخل عملية الإغناء السياقي والتداولي في مسار التأويل، فمثلا لا يملك الماضي خطاطة زمنية تامة دالة على سبق الحدث على زمن التلفظ، فهذه الخطاطة ليست سوى قراءة زمنية ممكنة من بين قراءات أخرى للماضي الصرفي في الخطاب، فالماضي يحتمل قراءة دالة على سبق زمن الحدث وزمن الإحالة لزمن التلفظ، وقراءة الحاضر المكتمل الدال على سبق زمن الحدث لزمن الإحالة وزمن التلفظ المتواقتين، وقراءة دالة على سبق زمن الحدث لزمن الإحالة مموضعين في المستقبل بالنظر إلى زمن التلفظ. الملاحظ أن السمات المشتركة بين هذه القراءات الثلاثة هي سمة السبق، لذلك فالتخصيص الأدنى يقتضي إسناد دلالة سبق زمن الحدث، وتبقى العلاقة الخطية بين زمن الحدث وزمن التلفظ أو زمن الإحالة محددة داخل السياق. ومعنى ذلك أن المحتوى الدلالي للمقولات الزمنية لا ينتج عن تمثيلات دلالية

تحتية ملازمة، وإنما ينبغي أن يكون عدد السمات المحددة للمقولات مخصصا تخصيصا أدنى، لأن مجموعة من السمات الأخرى الضرورية لاشتقاق التأويل المناسب للزمن يتم استخلاصها من السياق اللغوي أو من السياق العام. ومن استلزامات هذا التصور تقليص عدد المقولات الرئيسية التي نقيم على أساسها نسق العلاقات الزمنية في لغة من اللغات، فبعض الأزمنة قد تبدو رئيسة أكثر من غيرها في نسق زمني معين، وبعضها الآخر سيكون مجرد أثر دلالي لزمن محدد، فمثلا اللغات التي لا تملك صرفية المتدرج مثل العربية- وذلك خلافا للإنجليزية- يصبح فيها تأويل المتدرج أثرا دلاليا للحاضر في بعض السياقات. ولا يحتاج النسق الزمني والجهي للأفعال في اللغة العربية أن يخصص بشكل قبلي بسمة المتدرج وربما بسمات أخرى، وستشتق قراءة المتدرج في السياق اللغوي بميكانزمات حسابية، وستبنى كآثار دلالية يمكن للحاضر أن يفرزها، ينفذ إليها المؤول من خلال توظيفه لآليات حسابية محددة.

ج. يبني مؤول الأزمنة في الخطاب الخطاطة الاتساقية المناسبة لمتوالية من الأزمان، حيث ينبغي أن يتعرف على نمط العلاقات النصية بين الأزمنة، أو العلاقات السياقية الملائمة لاشتقاق الترابط الزمني. ففي الحالات غير الموسومة يقترن الترابط الزمني بأزمنة صرفية موافقة، وفي الحالات الموسومة يستعمل المتكلم أو الكاتب أزمنة تكسر التناسب أو الاتساق الزمني بين متوالية من الأزمان، وعلى المؤول أن يتعرف على الآثار الدلالية والذاتية التي يتوخى المتلفظ enonciateur إحداثها.

وفيما يلي نقدم مقترحا تطبيقيا لهذه الإجراءات على الآيتين الواردتين في المثالين (14) و (15).
أ. أول خرق يتعرف عليه المؤول في الآية يرتبط بالاتساق أو التناسب الزمني في العلاقات النصية بين الأزمنة. فالخطاطة الاتساقية غير الموسومة التي يفترضها المؤول هي التالية :

تبدل - يبرزون - ترى

حيث يقترن الاتساق الدلالي الزمني بأزمنة صرفية موافقة. بينما يشكل استعمال الماضي في الآية تكسيرا للتناسب الزمنين مما يعني أننا بصدد خطاطة زمنية موسومة، استعمل فيها الماضي لمقاصد ذاتية ومنظورية.

إن مؤول الآية مدعو لملاحظة انتقال أو تحول shifting في المنظور الزمني من العالم الراهن إلى عالم تقويمي ممكن يتصور فيه المتلفظ أن زمن البروز قد تم. والملاحظ أن عملية بناء المنظور الزمني كمركز تأويلي للزمن أثناء مسار تأويل الأزمنة في الخطاب، استراتيجية ينجزها المؤول كلما صادف استعمالا تأويليا أو ذاتيا للزمن، ونلاحظ ذلك في متواليات الأزمان في الخطاب المحكي غير المباشر، كما هو الشأن في الأمثلة (09) و (10) و (11) و (12)، حيث يستعمل المؤول منظور فاعل الجملة أو منظور المتكلم كمركز تأويلي للزمن. فاستعمال الماضي قد يكون من أجل تأكيد سرعة البروز وحدوثه في لحظة زمنية ودفعة واحدة، بخلاف المضارع الذي سيفيد أن الحدث متدرج وممطط في الزمن.

ب. في المثال (15) يكسر المضارع الاتساق الزمني في متوالية من الأزمان الماضية، غير أن استعمال الماضي في الآية مضلل لعملية التأويل، لأنه لا يحيل على ماض محددdefinite past فالأحداث الموصوفة في الآية ذكرت لأجل أخذ العبرة، ولكي تكون مثالا لحدث البعث والنشور (كذلك النشور) . وبالتالي لا تحيل الآية على حدث أو زمن محددين لإرسال الريح أو لإحياء الأرض. فالأحداث المحال عليها تتكرر في الزمن؛ لأنها تجسد التأثير الإلهي في النظام الطبيعي، وبالتالي تصير الخطاطة التالية مرادفة في إحالتها الزمنية للخطاطة التي تقدمها الآية:

يرسل الريح، فتثير سحابا، فنسوقه إلى بلد ميت .

قد يقصد، إذن، باستعمال المضارع تجسيد فعل إثارة السحاب كجزء من التصوير المشهدي.

ج. يربط المؤول الانتقال في المنظور الزمني في الآية (14) بانتقالات مشابهة في آيات مختلفة في القرآن ، والتي لا تنتج آثارا دلالية وتأويلية متماثلة، فتارة يرد لتأكيد وتثبيت الوعد، كما هو الشأن في الآية«إنا أعطيناك الكوثر» أو للإشارة إلى أن الأحداث الموعود بها يوم القيامة واقعة لا محالة.

يجسد الانتقال في المنظور الزمني مسوغا من بين مسوغات أخرى لإغناء الإطار التمثيلي التركيبي بمقولات وظيفية تسمح بإدراج حدث التلفظ (speech event) باعتباره مركزا إشاريا متعدد الأبعاد يتضمن المشاركين في حدث التلفظ (المتكلم، المخاطب والآخر) والمحاور الفضائية والزمانية الضرورية التي تشكل إطارا منظوريا لاشتغال الإحالة الزمنية. ولقد دافعت بيانشي Bianchi 2001 عن هذا التصور معتبرة المصدري موضعا مناسبا تحل فيه هذه السمات، مفترضة أن تأويل البنية الزمنية لا يمكن أن يتم وفق تخصيص بسيط لزمن التلفظ كما دأبت على ذلك الأبحاث المعيارية في نظريات الزمن. فغنى حدث التلفظ وتوجيهه للإحالة الزمنية يستلزم استحضار مجموعة من العناصر المحورية مثل: الشخص الذي ينجز نشاط الفعل في الجملة، الشخص الذي يفكر في الجملة، الشخص الذي يحكي الأحداث ويقدمها، أي المنظور الذي نرى من خلاله الحدث المركزي والمحاور الزمنية-الفضائية للأشخاص المشار إليهم أعلاه. وبذلك تصير الدلالة الزمنية مسألة تخصيص لأبعاد يشكل المنظور الزمني إحدى محاور ارتكازها . [21]

على سبيل الختـــــم :

إن تصور توجيه الزمن انطلاقا من فرضية "المقاصد الموجهية" للمتكلم أو الفاعل، سيمكن حتما من فهم سلوك الزمن في نصوص ظلت مسألة الإحالة الزمنية فيها تطرح قضايا مستغلقة على الباحثين، وأخص بالذكر الخطاب القرآني. لقد أحيلت هذه الظواهر على المكون الأسلوبي أو البلاغي ووضعت على هامش قاعدة المعطيات الزمنية التي ترصدها النظريات الزمنية المقعدة لمبادئ وقوانين الإحالة الزمنية، لأن اشتغال نظام الإحالة الزمنية فيها يخضع لمبادئ استدلالية تداولية من قبيل "المقاصد" و"الاقتضاءات" و"الاستلزام" و"نوايا المتكلم"، وبالتالي تنفلت من سلطة نظام القواعد والتقييس والاطراد. ومع تنامي نظريات الزمن المنفتحة على التداوليات المعرفية والمتفاعلة مع حقول معرفية أخرى أصبح بالإمكان إدماج هذه الظواهر وإخراجها من الأحياز الهامشية. ويزداد الباحث اقتناعا كلما توغل في دراسة الزمن بشساعة الحقل الزمني، وبضرورة صياغة "أدوات واصفة ومفسرة" تنتمي إلى قوالب تمثيلية متعددة صرفية وتركيبية ودلالية/ منطقية وتداولية.

هوامش البحـــــث :

(1 Moeschler , 2 000 , inferences directionnelles et autre objets temporel, pp. 7-16 .

(2 Ibid, p. 12 .

(3 Ibid, p. 11 .

4) لا يعارض موشلير إمكانية صياغة خطاطة دلالية عامة لسمات الأزمنة كمقولات إجرائية، غير أن هذه الخطاطة، ينبغي أن تخصص خاصية دلالية عامة تتكرر في جميع سياقات استعمال الأزمنة ، وستشكل هذه الخطاطة المحتوى التصوري للزمن.ولا تطعن هذه الإمكانية في التمييز الذي يقيمه بين المقولات التصورية والإجرائية،على اعتبار أن الزمن قد يحمل تصورية ضعيفة وسمة إجرائية قوية. ينظر: - Moeschler , 2002, connecteurs , en codage conceptuel et encodage procédural , p 10 , université de Genève.

5) ينظر:

- غاليم محمد، 2007، نفسه، ص ص -21 27.

بشأن المقاربة القالبية وفرضياتهـــــا الكبرى.

kangethe , F..I 2002, lecture pragmatique des morphèmes temporels
du swahili , thèse de doctorat, université de Geneve , p. 10

(7 Ibid, pp. 10- 12 .

8) يتعلق الأمر بأطروحة دكتوراه أنجزها الباحث بإشراف جاك موشلير، ومقال نشره في مجلة: cahiers de linguistique française .

ينظر:

Frederick iraki kangethe ,2002, lecture pragmatique des Morphèmes temporels du swahili , thèse de doc - torat, université de Genève.

F.I.Kange the , 2003, le model de conflit et les temps verbaux , dans cahiers de linguistique française, n° 25 - /2003

9) - يتبنى هذا التصور أحمد خالوقي ، ينظر:

Ahmed khallouqi , 2003, sous détermination linguistique , distinction massif /comptable et interprétation - aspectuelle , cahiers de linguistique française , n°25/2003.

ونحيل على عمل لوي دوصوسير و ستيوول:

louis de saussure et bertrand Sthioul , 2000, imparfait et enrichissement pragmatique, in cahier chronos , - université de Genève

10) ينظر:

Anne Reboul ,2000, la représentation des éventualités, dans la théorie des représentations mentales , cahiers de linguistique française, n 22/2000.

(11 F.I Kangethe , 2002, p. 3 .

(12 Ibid, pp. 8- 9 .

(13 Ibid, pp. 13- 14.

(14 F.I Kangethe ,2003,p p 143- 148 .

يفترض كانجيت أن الطرق المتنوعة التي نسلكها في التعبير عن الزمن يمكن أن تعتبر مؤشرا على تنوع السيرورات المعرفية والتمثيلية التي نستعملها أثناء إنتاج ملفوظات حاملة لإحالات زمنية محددة .Ibid, p. 148

15) يعتبر المنظور الزمني في نظام الدلالة الزمنية محكوما بوجهة نظر المتكلم. ويتعارض هذا الموقف مع ما استقر في التعريفات المعيارية للزمن والجهة النحويتين، حيث تقترن هذه الأخيرة بنظرة المتكلم للحدث من حيث هو تام أو غير تام.

ويعرف الزمن كما لو كانت إحالته موضوعية تقوم على موضعة زمن الحدث بالنظر لزمن التلفظ. لكن بما أن الزمن إشاري، والإشارة متمركزة حول المتكلم أو الذات المتلفظة، فمن الطبيعي أن يكون نظام الإحالة الزمنية مبنيا على إحالة ممركزة حول المتكلم ومنظوره. وهذا لا يعني بطبيعة الحال أن قيم الأزمنة تختار دائما زمن التلفظ كنقطة إحالية. ونروم في هذا السياق التأكيد على أن التأويل الزمني في مستوى من مستويات التحليل المنطقي عبارة عن زوج متشكل من زمن وعالم ممكن، متبنين مقاربات أوجهار وشلانكر للزمن.و من فضائل هذا التمثيل المزدوج للزمن (زمن وعالم ممكن) ، أنه يسمح ضمنيا بإدراج فكرة المحور الزمني الذاتي في نسق التمثيل. ولنأخذ كنموذج لتداخل منظورين زمنيين في جملة واحدة المثال التالي، وهو مقتبس من النص القرآني:

1. (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) .

يشكل الفعل الأول مثالا للإحالة الزمنية الموجهة ذاتيا. إن المقاصد الموجهية حاضرة في تأويل الدلالة الزمنية هنا. فالمعنى يتجه نحو تأكيد الحدث وتثبيت وقوعه. وفكرة العوالم الممكنة تقتضي بأن الحدث تم في عالم المتكلم الممكن. وهناك تقابل بين عالمين زمنين: عالم المتكلم الزمني الذي ينظر للحدث على أنه متموقع في الماضي، ويصوغ المتكلم في عالمه الممكن محورا زمنيا مموضعا الأحداث فيه حسب نظام زمني يخضع لتخصيص زمني سبقي. وهناك عالم ممكن ثان يمثله الفعل «فلا تستعجلوه». ويشخص هذا الفعل انتقالا في المنظور الزمني الذاتي للمتكلم من عالمه إلى عالم يكون زمن التلفظ فيه –الآن- محور إرساء الإحالة الزمنية. ويسمح مفهوم العوالم الممكنة بفرز محاور زمنية متعددة للإحالة الزمنية.

والمثال المقدم من النص القرآني لا يعني أن الإحالة الزمنية الموجهة ذاتيا بدلالة العوالم الممكنة، محصورة في طبقة محددة من الخطابات التي تتوسل بوسائل تعبيرية بلاغية أو أسلوبية، وإنما يمتد إلى الخطابات اللغوية المتداولة في التواصل اللغوي العادي. وتمثل كَيرون لذلك بأمثلة من الإيطالية والإنجليزية مقتبسة من دراسة لهيغنباوتم ودلفيتو وإبوليتو تجسد تحكم المقاصد الموجهية الذاتية للمتكلم في ترتيب نظام الإحالة الزمنية:

2. I am singing in New York tomorrow.

أنا أغني في نيويورك غدا

3. Pavarotti cantav demani

(الماضي المستمر)

بافاروتي كان غنّى غدا.

.Gueron (2004), P. 21 .

وفي السياق نفسه يقول البارودي:

نشأت بطبعي للقريض بدائـــــع ليست بنحلة شاعـــــر متقدم

يصبو بها «الحكمي» صبوة عاشق وتخف من طرب عريكة «مسلم»

(ديوان البارودي، تحقيق: علي الجارم ومحمد شفيق معروف: 3/493).

يضع البارودي زمن الشعراء القدامى في زمنه، خالقا بذلك منظورا زمنيا ذاتيا أو عالما ممكنا يكون فيه «الحكمي» أي أبو نواس متموضعا في زمنه، يصبو بأشعاره (أشعار البارودي) صبوة العاشق.

ونظير ذلك الآية الواردة في القرآن:

5. (إنا أعطيناك الكوثر)

والتي فسر الماضي فيها باعتباره دالا في إطار المقاصد الموجهية على الوعد المحقق، والوعد سمة دلالية موجهية، فالوعد يقترن في الحالات غير الموسومة بصيغة «يفعل»، وبالتالي يمكن أن نفترض بأن نظام الوسم ينسحب على العوالم الممكنة. ففي الحالات غير الموسومة يكون العالم الممكن المقترن بزمن التلفظ والمقترن بصيغة زمنية غير موسومة هو الحالة الطبيعية للإحالة الزمنية. أما إذا ارتبط العالم الممكن بمنظور زمني موجهي للمتكلم، فإننا نكون إزاء عوالم ممكنة موسومة تلعب دورا في تغيير القيمة الزمنية، وبالتالي فالوعد هنا يصير محققا وليس منتظرا بما أنه خاضع لسلطة العالم الممكن للمتكلم الذي يضع الأحداث في محور زمني قائم على السبق.

Izumi tahara , 2000, le passe simple et la subjectivité, pp 219- 220, cahiers de linguistique fran çaise , (16

n° 22/2000

17) يستعمل دوصوسير مصطلح ميتاتمثيل meta représentation لشرح نوعية العلاقة بين المتلفظ والفاعل في الجملة. فالمتلفظ ينقل التمثيل الزمني من وجهة نظر الفاعل، ويسميه بفاعل الوعي sujet de conscience

ويلتقي هذا التصور مع توجه نماذج المعالجة المعرفية للسيرورات المعرفية من قبيل التمثيل اللغوي إلى اعتماد المراقبة الواعية بدل النمذجة الكلاسية التي اعتبرت أن سيرورات التمثيل لعدد من الوظائف المعرفية تنفلت من رقابة الوعي وتتم بطريقة آلية لاواعية. فالذهن يمتلك قدرة على إجراء تمثيلات وإخضاعها لتمثيلات فوقية أي تمثيلات موضوعها تمثيلات مبنية ويصب ذلك في إطار التمييز المعهود في أدبيات العلوم المعرفية بين representation and metarepresenta tion ,cognition and metacognition

ينظر: louis de saussure et bertrand sthioul , 1998, imparfait et enrichissement pragmatique pp. 2- 3 , université de Genève.

18) ورد هذا التمييز في دراسة لوي دوصوسير و بيرتران ستيوول:

louis de soussure et bertrand sthioul , 1999,l' imparfait narratif: point de vue (et image du monde) , p. 2 , université de Genève

19) Ibid .

20) يتردد هذا التصور في أعمال لوي دوصوسير حيث يعتبر أن صرفية الزمن لا تخصص سوى بحد أدنى من السمات الدلالية يسميها Sematisme de base بينما تشتق السمات الأخرى من استعمالات الزمن المتعددة في السياق. ويسمح هذا الافتراض بتغطية المجالات الوصفية والتأويلية لاستعمالات الزمن في اللغات الطبيعية.

ينظر: Luis De Saussure et Bertrand sthioul,1999, L'imparfait narratif :Point de vue et image du monde, PP. 3- 4 .

21) ولمزيد من التفصيل انظر العرض المفصل الذي قدّمته نورابونيه لتصور بيانشي:

Norah Boneh, (2003) , p.74.

المراجـــــع :

- De saussure louis et bertrand sthioul , 2000, imparfait et enrichissement pragmatique , in cahier chronos , université de Genève
- De saussure louis et bertrand sthioul, 1999,l imparfait narratif: point de vue (et image du monde) , université de Genève.
- kangethe , F.I 2002, lecture pragmatique des morphèmes temporel du swahili, thèse de docto rat, université de Geneve.
- kangethe , F.I, 2003, le model de conflit et les temps verbaux , dans cahiers de linguistique française, n° 25 /2003.
- khallouqi , A, 2003, sous détermination linguistique , distinction massif /comptable et interpré tation aspectuelle , cahiers de linguistique française , n°25/2003.
- Moeschler , 2002, connecteurs , en codage conceptuel et encodage procédural , université de Genève.
- tahara Izumi, 2000, le passe simple et la subjectivité ,cahiers de linguistique française , n° 22/2000.